قـــال الاعشى :

على انهـــا كانـــت تأول حبهـــــا
تأول دبعى السقابـــى فأصحبـــا

ويقصد ان حبها كان صغيرا فى قلبه فآل الى العظم ولم يزل يشب حتى صار كالسقب الـــذى لم يزل يشب حتى اصحبت يغنى انه اذا استصحبته أمه صحبها ·

« العمـــوم والخصـــوص »

العـــام :

الذى يقع على الجملة كلها لا يترك منها شيئا، فقد ذكر ابن الانبارى فى باب (العمـــوم والخصوص) العموم الذى يأتى على الجملة لا يغادر منها شيئا·

الخـــاص :

هو الذى يجزأ فيقع على شىء دون اشياء كقوله جل وعز « وامراة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى »

وقوله « واتقونى ياأولى الالباب » فخاطب اهل العقـــل ·

اتصال العمـــوم والخصوص :

وقد يكون العموم متصلا بـــالخصوص فيكـــون احداهما خاصا والآخـــر عاما ·

مثال : يقال لمن اعطى زيدا درهما : أعط عمـــراً فان لم تفعل فما اعطيت (يريد ان لم تعط عمرا كأنك لم تعط زيدا وهذا غير محسوب لك) ·

ومثال قوله جل وعز : « ياايها الرسول بلغ مـــا انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلّغـــت رسالته » فهذا خاص يريد هذا الامر المحدد بلغة فان لم تفعل ولم تبلغ هذا فما بلغت رسالته يريد جميع ما ارسلت به ·

العلم الذى يريد بـــه الخاص :

مثال قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « وانه اول المومنين » ولم يرد كل المومنين لان الانبيـــاء صلوات الله عليهم قد كانوا مؤمنين قبله ومثله كثير ، ومنه « قالت الاعراب آمنا » ولم تقل كل الاعراب انما قالته مزينة منهم ، وقوله عز وجل « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون » يريـــد الآيات التى اذا كذب بها نزل العذاب على المكذب · ومنه قوله تعالى : « ويستغفر للذين آمنوا »·

الخاص الذى يـــراد بـــه العام :

قال الله تعالى « ياايها النبى اتق الله ولاتطـــع الكافرين والمنافقين » والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن المراد جميع المسلمين ·

تحويـــل الخطاب من الشاهد للغـــائب

جرت العرب على ان تخاطب الحاضر ثم تحول اثناء حديثها الخطاب للغائب كقول النابغة :

يادار ميـــة بالعلياء والسنـــد
اقـــوت وطال عليها سالف الامد

فخاطب دارمية ثم حول الخطاب كانه يخاطب شيئا ليس امامه اى غائبا حيث قال اقوت ـــ الخ ·

وفى كتاب الله عز وجل « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » خاطب جماعة امامـــه ثم حـــول الخطاب للغائب حيث قال وجرين بهم اى لسفن سارت بهم · وقول الله عز وجل «وما اوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » خاطب المسلمين الشاهدين امامه ثم حول الخطاب للغائبين قائلا فأولئك هم المضعفون وقوله تعالى « لكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم » ثم قال فى آخر الآية محولا الخطاب للغائب « اولئك هم الراشدون » ·

قال الشاعـــر :

اسيئـــى بنا او احسنى لا ملومة
لـــدينـــا ولا تعليـــه ان تعلـــت

خاطب الشاهد فقال اسيئى لنا ـــ الخ ثم حـــول الخطاب للغائب فقال ولا تعليه ان تعلـــت·

تحويل الخطاب من الغائب للشاهد

العرب كما تحول الخطاب من الشاهد للغائـــب كذلك تحول الكلام من الغائب للشاهد حيث يجعلـــون خطاب الغائب يقصدون به الشاهد (اى الحاضر) مثال

قال الهندى :

ياويح نفسى كان جدة خلد
وبياض وجهك للتراب الاعفر

فخبر عن خلد ثم واجه فقال وبياض وجهك.

ومثال آخر :

شطت مزار العاشقين فأصبحت
عسرا علىّ طلابك ابنة محزم

خاطب الغائب فقال شطت مزار العاشقين ثم حول الخطاب للشاهد فقال على طلابك ابنة محزم.

مخاطبة المخاطب وهو يعنى مخاطبة غيره

ورد فى اللغة العربية أن تخاطب شخصا وتقصد بالخطاب غيره كقوله عز وجل « فان لم يستجيبوا لكم » الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المقصود هو الكفار الذين لم يستجيبوا للنبى . وقوله عز وجل « فهل انتم مسلمون » وكذلك قوله عز وجل « فمن ربكما ياموسى قال فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» . وكثير فى القرآن أن يبتدأ بالشىء ثم يخبر عن غيره ؛ قال شداد ابن معاوية :

فمن يك سائلا عنى فانى

وجروة لا ترود ولا تعار

وجروة فرسه والمسألة عنه والخبر عن غيره.

وجاء فى كتاب الله عز وجل : « أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا» بدأ بهم ثم قال ان الله يفصل بينهم .

ومنه قول العلى : «ان مالت بى الريح ميلة الىابن أبى ذبان ان يتندما » فذكر نفسه وترك واقبل على غيره كأنه أراد لعل ابى ذبان أن يتندم ان مالت الريح عليه . ومنه فى كتاب الله عز وجل « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن ».

الحذف والاختصار

من عادة العرب فى اللغة الحذف والاختصار يقولون والله افعل ذلك وهم يقصدون لا افعل ؛ اتانا عند مغيب الشمس أو حين أراد او حين كادت تغرب.

قال ذو الرمة :

فلما لبسن الليل او حين نصبت
له من خذا آذانها وهو جانح

وفى كتاب الله عز وجل :

« وسل القرية » اراد اهل القرية . « والحج اشهر معلومات » ونحن نطأ السماء اى مطرها ، و « على خوف من فرعون وملئهم » اى اتباع فرعون . والاضمار فى قوله عز وجل « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين » لانه لو قيل من عمل صالحا جعلناه فى جملة الصالحين لم تكن له فائدة والاضمار لندخلنهم الجنة فى زمرة الصالحين . ومنه قوله عز وجل « اضرب بعصاك البحر فانفلق » ومنه « انى آمنت بربكم فاسمعونى قيل ادخل الجنة » اى فلما قال ذلك قيل ادخل الجنة ومنه «تركنا عليه الاخرين» اراد الثناء الحسن والعاقبة الحسنة فى الآخرة .

الاطلاق والتقييد

تعريف الاطلاق : فى باب الخطاب المطلق والمقيد يعرف ابن الانبارى الاطلاق انه ذكر الشىء باسمه لا تقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولاعدد ولا شىء يشبه ذلك .

التقييد : ويعرف التقييد فيقول : الشىء يذكر بقرين اما أن يكون صفة او شرطا او زمانا او عددا او أى شىء فيكون القرين زائدا فى المعنى .

امثلة : زيد ليث . وهنا يشبه بالليث فى شجاعته أما اذا زاد « كالليث الحرب » اى الغضبان الذى سلب فريسته كان ذلك ادهى له . ومن امثلة المطلق قول القائل:

« ترائبها مصقولة كالسجنجل » شبه صدرها بالمرآة . أما ذو الرمة فقد زاد المعنى عندما قيد الاسلوب فقال « ووجه كمرآة الغريبة اسجح » ذكر المرآة كما ذكر فى القول الاول السجنجل مما زاد المعنى حيث ان الغريبة تحتاج ان تكون مرآتها اصفى وانقى لتريها ما تحتاج اليه من سحر وجهها أما الحربية فلها من يعلمها محاسنها من مساوئها . ويروى ابن الانبارى فى نفس الباب أمثلة منها قول الاعشى :

تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى يتفهق

فشبه الجفنة بالجابية وهى الحوض ، وقيدها نذكر الشيخ العراقى ، لان العراقى اذا لم يعرف مواضع الماء ومواضع الغيث وكان بالبادية فهو يحرص على جمع الماء الكثير معه اكثر من البدوى الذى يعرف منابع المياه .

ومثال قول حميد بن نور يصف بعيرا :

بعيرا محلا باطواق عتاق لبينها
على الضر راعى الثلة المتعيف

فقال راعى ثلة ولم يطلق اسم الراعى وذلك انهم يقولون ان راعى الغنم أجهل الرعاة فيقول ان هذا البعير محلى باطواق عتاق اى كريمة بينها راعى الثلة على جهله فكيف بعير من يعرف .

الخصائص

للعرب كلام يختص بمعان خاصة لا يجوز أن تعبر عن غير هذه المعانى وهذه تكون فى الخير والشر وفى الليل والنهار وفى الحسن والقبيح ومن ذلك قولك مكانك قال اهل العلم انها كلمة وضعت على الوعيد قال الله عز وجل « مكانكم انتم وشركاؤكم » كأنه قيل لهم انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم ، ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « ما حملكم على أن تتابعوا فى الكذب كما يتابع الفراش فى النار » .

قال ابو عبيد هو التهافت ولم نسمعه الا فى الشر ومن ذلك ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا . ويروى ابن الانبارى فيقول : اخبرنى ابو الحسن على بن ابراهيم قال سمعت أبا العباس المبرد يقول التأويب سير النهار لا تعريج فيه والاساد سير الليل لا تعريس فيه . ومن الخصائص فى الافعال ظننتنى وحسبتنى وخلتنى لا يقال ذلك الا فيما فيه أدنى شك ولا يقال ضربتنى . ولا يكون التأبين الا مدح الرجل ميتا، والمساعدة الزنا بالاماء خاصة ، والراكب راكب البعير خاصة ، ولج الجمل وخلات الناقة وحرن الفرس ، ونفشت الغنم ليلا وهملت نهارا (قال الخليل والبعيلة من الابل اسم مشتق من العمل ولا يقال الا للاناث) . والنعت وصف الشىء بما فيه من حسن الا اذا تكلف متكلف فيقول هذا نعت سوء . العرب العاربة تقول للشىء المستكمل نعت يريدون التتمة ، وليلة ذات ارزير اى حر شديد ولا يقال ذو ارزير . ويقولون القوم تاششوا اذا قام بعضهم لبعضهم للشر لا الخير ، ومثل ذلك جززت الشاه وحلقت المعز لا يكون الحلق فى الضأن ولا الجز فى المعزى ، ويقال وعظ البعير اى هدر ولا يقال فى الناقة ، ويقال ما اطيب قداوة هذا الطعام اى ريحه ولا يقال ذلك الا فى الطبخ والشواء ، وفى النفى يقال ما بها أرم اى ما بها أحد .

الابدال

من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض فيقولون مدحه ومدهه ، وفرس وفز ورفل وهو كثير مشهور . وقول الله عز وجل « فانفلق فكان كل فرق » فالفراء فى فرق واللام فى انفلق وهى بمعنى واحد وكما تقول العرب فلق الصبح وفرقه .

الاشتراك

معنى الاشتراك : ان تكون اللفظة محتملة لمعنيين او اكثر كقوله عز وجل « فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل » فقوله فليلقه اليم يحتمل أن يكون اليم امر بالقائه ، ومنه قولهم ارايت فهو مرة للاستفتاء والسؤال كقولك ارايت أن صلى الامام قاعدا كيف يصلى من خلفه ، ويكون مرة للتنبيه ولا تقتضى مفعولا قال الله عز وجل « ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بأن الله يرى » وقوله جل وعز « ذرنى ومن خلقت وحيدا » فهو مشترك يحتمل أن يكون الله جل وعز لانه انفرد بخلقه ومحتمل على حد راى ابن الانبارى أن الله خلقه وحيدا مجردا من ماله وولده .

الزيادة

قال بعض اهل العلم ان العرب تزيد فى كلامها اسماء وافعالا اما الاسماء فالاسم والوجه والمثل .

أ ـ زيادة الاسم : فى قولنا « بسم الله » اراد بالله ولكن عندما اشبه القسم زيد الاسم .

الوجه مثال : « وجهى اليك » وفى قول الله عز وجل « ويبقى وجه ربك » . وقال الشاعر :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل

زيادة المثل : يقول الله جل ثناؤه :

« فأتوا بسورة من مثله » ويقول قائلهم :

« مثلى لا يخضع لمثلك » اى انا لا اخضع لك ، وقوله جل وعز : « وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله » اى عليه ، ، ،

ب ـ اما الزيادة فى الافعال : ـ ففى قولهم كاد فى قول الشاعر :

حتى تناول كلبا فى ديارهم
وكاد يسمو الى الجوزين فارتفعا

اراد وسما الا ترى انه قال فارتفع . ومما يزاد ايضا من الافعال قول القائل : لا اعلم فى ذلك اختلافا وفى كتاب الله جل وعز « أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض » وقد تزاد حروف من حروف المعانى كزيادة لاومن وغير ذلك .

التكرار

من عادة العرب التكرار والاعادة لفرض الابلاغ حسب العناية بالامر فقد قال الحارث بن عباد « قربا مربط النعامة منى » وكرر هذا القول فى رؤوس ابيات كثيرة عناية بالامر وارادة الابلاغ والتنبيه والتحذير

وقول الاشعر :

وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى تقول نساؤهم هذا الفتى

وكرر هذه الكلمة فى رؤوس ابيات على ذلك المذهب . وكذلك قول من كرر « مهلا بنى عمنا مهلا موالينا » وقول الآخر « كم نعمة كانت له كم كم وكم » فكرر لفظ كم لفرط العناية يقصد تكثير العدد . وقد جاء فى كتاب الله تعالى قوله جل وعز « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وكرر هذه العبارة كثيرا .

فأماتكرار الانباء والقصص فى كتاب الله تبارك وتعالى فقد قيلت فيه وجوه وأصح ما يقال فيه أن الله عز وجل جعل هذا القرآن معجزة وقد عجز القوم عن الاتيان بمثله اثباتا لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين واوضح الامر فى عجزهم بأن كرر القصة فى مواضع اعلاما انهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبروا .

الافراط

العرب تفرط احيانا فى صفة شىء ، مجاوزة للقدر اقتدارا على الكلام كقول الشاعر :

بخيل تضل البلق فى حجراته
ترى الاكم فيه سجدا للحوافر

ويقولون لما اتى خبر لزيد تواضعت اسوار المدينة وخشعت الجبال ويقولون ضربته فى الملتقى ضربة نزال عن منكبه الكاهل فصار ما بينهما رهوة يمشى بها الرامح والنابل .

الاتباع

وهو ان تتبع الكلمة الكلمة على وزنها او رويها اشباعا وتأكيدا ، وروى ان بعض العرب سئل عن ذلك فقال وشىء نبتدىء به كلامنا وذلك قولهم ساغب لاغب . وهو خب ضب وخراب يباب .

الاستطراد

تعريفه : ان يشبه شىء بشىء يميز المتكلم فى وصف المشبه به .

وقد قيل ان فى كتاب الله عز وجل من هذا النظم قوله : « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم » ولم يجىء للذكر خبر ثم وصف الذكر فقال « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وجواب أن الذين كفروا قوله تعالى « أولئك ينادون من مكان بعيد » .

الاضمار

من سنن العرب الاضمار ويأتى فى الاسماء والافعال والحروف .

« قولهم الا يا اسلمى » يريدون به الا يا هذه اسلمى . وفى كتاب الله عز وجل « الا يجدوا ما ينفقون »